

التبيان في تفسير القرآن

(273) قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) (4) آية بلاخلاف. أخبر الله تعالى أنه لم يرسل فيما مضى من الأزمان رسولا إلى قوم إلا بلغه قومه حتى إذا بين لهم، فهموا عنه، ولا يحتاجون إلى من يترجم عنه. وقوله " فيضل الله من يشاء " يحتمل امرين: أحدهما - أنه يحكم بضلال من يشاء إذا ضلوا هم عن طريق الحق. الثاني - يضلهم عن طريق الجنة إذا كانوا مستحقين للعقاب و " يهدي من يشاء " إلى طريق الجنة " وهو العزيز " يعني القادر الذي لا يقدر أحد على منعه " الحكيم " في جميع أفعاله، ليس فيها ما له صفة السفه. ويحتمل أن يريد أنه محكم لأفعاله التي تدل على علمه. ورفع قوله " فيضل الله " لأن التقدير على الاستئناف، لا العطف على ما مضى، ومثله قوله " لنبين لكم ونقر في الأرحام " (1) ومثله " قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم " (2) ثم قال بعد ذلك " ويتوب الله على من يشاء " (3) لأنه إذا لم يجز أن يكون عطفًا على ما مضى فينتصب لفساد المعنى فلا بد من استئنافه ورفع. وقال الحسن: امتن الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يبعث رسولا إلا إلى قومه، وبعثه خاصة إلى جميع الخلق. وقال مجاهد: بعث الله نبيه إلى الأسود والأحمر ولم يبعث نبيا قبله إلا إلى قومه وأهل لغته.

(1) سورة الحج آية 5 (2، 3) سورة التوبة آية 15 - 16 تفسير